

المزهر في علوم اللغة وأنواعها

العرب لها فإنه قال في أول فصحة : هذا كتابٌ اختار الفصح مما يجري في كلام الناس وكتبهم فمنه ما فيه لغةٌ واحدة والناس على خلافها فأخبرنا بصواب ذلك ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك فاخترنا أفصحهن ومنه ما فيه لغتان كثرنا واستعملتا فلم تكن إحداهما أكثر من الأخرى فأخبرنا بهما . انتهى .

ولا شك في أن ذلك هو مدار الفصاحة .

ورأى المتأخرون من أرباب علوم البلاغة أن كل أحدٍ لا يمكنه الاطِّلاع على ذلك لتَقَادُومِ العهد بزمان العرب فحرَّرُوا لذلك ضابطاً يُعَرِّفُ به ما أكثرت العرب من استعماله من غيره فقالوا : الفصاحةُ في المفرد : خلوصه من تَدَنَّاؤِ الحروف ومن الغَرَابَةِ ومن مخالفة القياس اللّغوي . (التنافر) .

فالتنافؤُ منه ما تكونُ الكلمةُ بسببه مُتَنَاهِيَةً في الثَّقَلِ على اللسان وعُسْرِ الذِّطْقِ بها كما رُوي أن أعرابياً سُئِلَ عن ناقتِه فقال تركتها تَرعى الهُعُخُجَ . ومنه ما هو دون ذلك كلفظ مُسْتَشْزِر في قول امرئ القيس - من الطويل - : (غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْعُلَا ...) . وذلك لتوسُّط الشين وهي مَهْمُوسَةٌ رخوة بين التاء وهي مهموسة شديدة والزاي وهي مجهورة . (الغرابة) .

- والغرابةُ أن تكون الكلمة وحِشْيَةً لا يظهر معناها في معرفتها إلى أن يُذَقَّرَ عنها في كتب اللغة المبسوطة كما رُوي عن عيسى بن عمر النحوي أنه سقط عن حمار فاجتمع عليه الناس فقال : ما لكم تَكَاؤُكَ أَتُمُّ عَلِيٌّ - تَكَاؤُكُمْ عَلَى ذِي جَنْبَةٍ أَفَرَزْتُمْ قَعْوَا عَنِّي أَيِ اجْتَمَعْتُمْ تَنَحَّيْتُمْ